توفي يعقوب قطاوي عام ١٨٨٣، بعد عام واحد من احتلال جيوش «الحورية» أرض مصر «المحروسة»، وخلّف فضلا عن ثروته أربعة أولاد، وبنات يفقن الأولاد عددا، تزوجن من أبناء أكبر العائلات اليهودية في مصر، وخلفن أحفادا يحملون أسماء منشة وموصيري وسوارس ورولو ومزراحي، ينتمون جميعا عبر فروع الأمهات إلى شجرة يعقوب قطاوي.

لست بصدد الترجمة للرجل وأولاده فقد سبقني شاهين مكاريوس إلى ذلك، ولا يدخل في حكايتي تتبع أي من الأبناء والأحفاد صار وزيرا أو عضوا في المجلس التشريعي أوالبرلمان ومجلس الشيوخ أو مديرا للبنك الأهلي أو من مؤسسي بنك مصر، ولا أقصد حصر ما امتلكوه من أراض وشركات وعقارات، ما يشغلني هو النقلة السريعة في ظل الاحتلال، نقلة ظاهرها تغيير الملبس والأسماء ولغة الكلام، وباطنها حكاية طويلة عريضة على القارئ أن يتتبع إن أراد تفاصيلها في كتب التاريخ. نكتفي هنا بنظرة عابرة على الصور، صورة الباشا يوسف يعقوب قطاوي بالطربوش وبدلة التشريفات، أي البنطلون والسترة الموشاة بخيوط الذهب على الصدر وأطراف الكمين، وصورة زوجته، امرأة سمينة مدورة الوجه (تشبه الحورية أو تتشبه بها)، ثوبها مكسم على الصدر وفضفاض سخي ومنتفخ من الردفين حتى الذيل، صور رجال بالقبعات تحيل هيئة كل منهم وجلسته أمام المصور لمشاهير الكتاب الفرنسيين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وصور نساء «باريسيات حتى أطراف أظافرهن»، وأولاد وبنات تعرف من الصور الصامتة أنهم يتقنون الحديث بالفرنسية.

سمي موسى قطاوي، وكان أصغر أبناء يعقوب سنا وأكبرهم إنجازا، أولاده جوستاف (وأشرنا إلى حفل ختانه) وهكتور وإدجار وإديت، (وهو نفسه كان يشار إليه أو يشير إلى نفسه أحيانا باسم موييز، وأحيانا باسم موريس). وللدقة لا بد من الإشارة هنا أن التفرنج لم يقتصر على آل قطاوي القادمين من حلب،